

التقدم إلى الخلف ..

رواية تصور قصة شاب تغرّب عن بلده لسنوات طويلة في سبيل الوصول إلى محبوبته التي حال بينه وبينها سورّ من التطلعات التي لم يكن قادراً على الوفاء بها .. حوالي عشر سنوات بدأت قبل حرب الخليج الثانية وانتهت مع مطلع الألفية الثالثة .. عاد بعدها عصام محققاً كل تلك المتطلبات .. عاد ليجد أن رياح التغيير قد هبّت على البلد بشكل متسارع لم يسبق له مثل مُغيرةٍ معها معالم كل شيء تقريباً : الانترنت، الجوال، الفضائيات، العولمة، الانفتاح، التحرر .. كل هذه تطورات لم تكن موجودة بهذه القوة قبل أن يغادر البلد، وهي تطورات لم تخل من تأثيرات إيجابية أو سلبية على الصعيد الاجتماعي في بلد يتسم بالتقليدية والمحافظة ..

وفاء التي ضحى عصام كثيراً في سبيل الوصول إليها .. أصدقائه المقربين .. طالتهم جميعاً رياح التغيير المفاجئة مفككة معها أوامر ما بينهم من روابط ودافعة كل منهم في طريق مختلف أو حتى متضادٍ مع الآخر ..
التقدم إلى الخلف .. قصة مجتمع .. !!



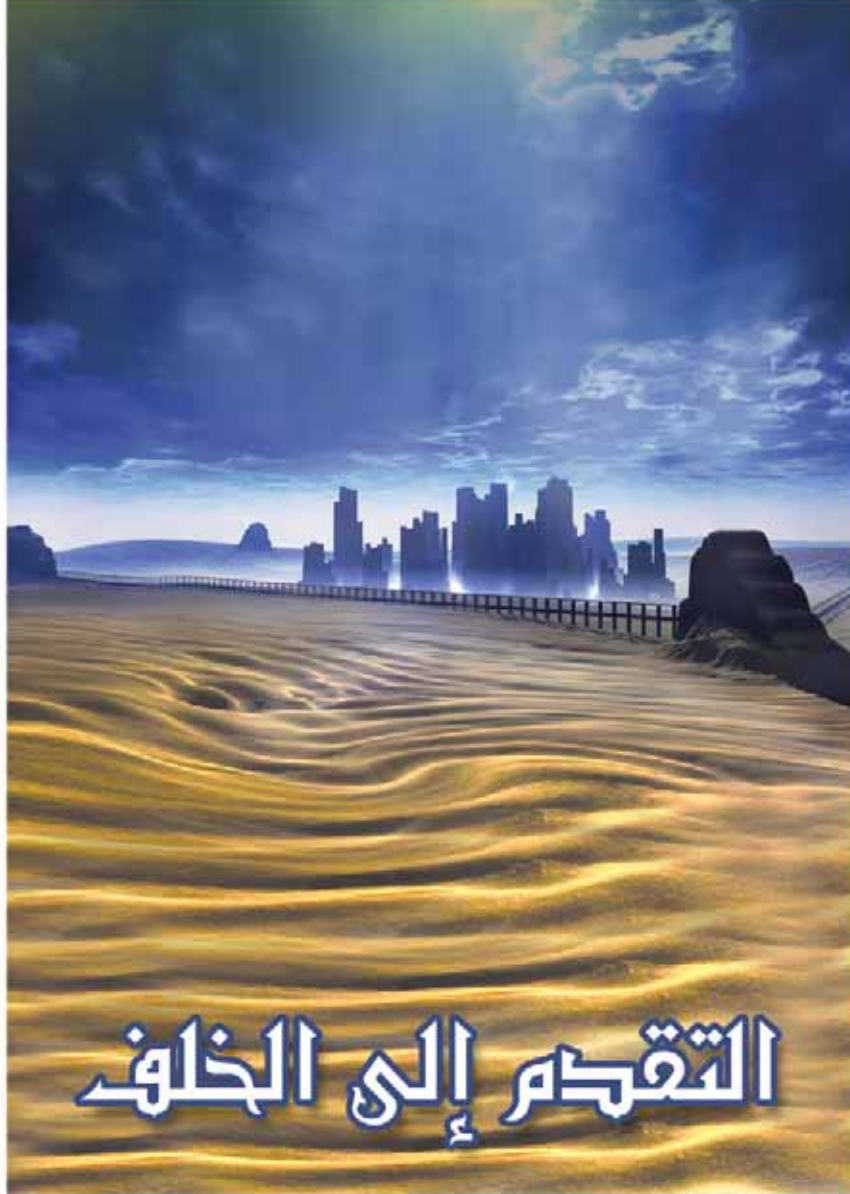
د. سعود صالح كاتب

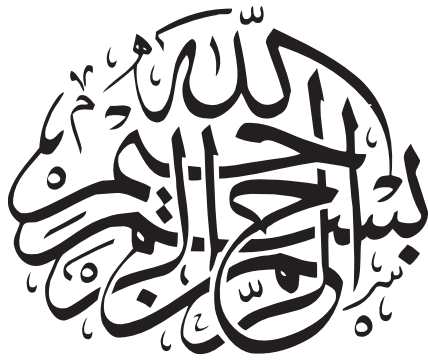
التقدم إلى الخلف

د. سعود صالح كاتب

الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧

د. سعود صالح كاتب





صدر للكاتب

- إنترنت: المرجع الكامل (١٩٩٧/١٤٢٧هـ)
- الإعلام القديم والإعلام الجديد: هل الصحافة المطبوعة في طريقها للإنقراض؟ (٢٠٠٢/١٤٢٣هـ)
- إصدار الكتروني: موقع الإعلام العربي الجديد www.ekateb.net

د. سعود صالح كاتب

التقدم إلى الخلف

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م

سعود صالح كاتب

skateb@ekateb.net

acuora5@hotmail.com

www.ekateb.net

إهداء ...

إلى ذكرى الحبيب الغالي عبدالوهاب ...

ليتك تعلم حيث أنت كم أفتقدك وكم أحنُّ إليك ...

يا نِسْمَةً عَلِيلَةً لم تحمل لمخلوق قط سوى الحب والطيبة ...

تقديم ...

التقدم إلى الخلف

كأن بهذه الرواية تأتي لتكمل مسيرة حافلة بدأتها الرواية السعودية في السنوات الأخيرة خاصة في عام ٢٠٠٦ عندما تجاوز عدد الروايات الصادرة في عام واحد فقط الخمسين رواية. تنوعت موضوعات تلك الروايات بين الإنساني والمحلي والخارج عن المألوف ولكنها تبقى جميعا انعكاسات لما يدور في خلد كاتبها من آمال وطموحات أو خيبات وانكسارات.

تأتي أهمية هذه الرواية التي أقدم لها اليوم في أنها تجمل من خلال الشخصية الرئيسية حياة أولئك الشبان الذين عاشوا حياة غربة بين جنات ثقافة بعيدة عما ألفوه وعرفوه من ذي قبل و حياة اغتراب على أرض أوطانهم. وتختلف هذه التجربة التي يقدمها د. سعود كاتب هنا في كونها تخص أولئك الذين سافروا للولايات المتحدة تحقيقا للحلم الأمريكي ورغبة في بناء الذات عن طريق واحد متاح للجميع وهو المثابرة و

العمل المتواصل و البحث عن فرص النجاح و السعي إلى كسبها. فبينما عاش كثير من المبتعثين السعوديين تجربة الدراسة في المعاهد و الجامعات الأمريكية فإن هذا العمل الروائي يتفرد بعرضه لحياة شاب عصامي يتعايش مع مجتمع يتمتع بالحرية في مختلف أبعادها، فكأنما بالكاتب يمجّد حاجة الفرد إلى الحرية في الإختيار حتى يصل إلى مبتغاه بأيسر الطرق الممكنة دون التخلي عن مبادئه و ما تربى عليه من قيم.

إلى جانب هدهدة الحلم الأمريكي فالرواية تسعى كذلك إلى تعزيز إتجاه ايجابي في نفوس الشباب في مسيرتهم الحياتية وهو "إعادة البناء الدراسي و المهني" إذا لزم الأمر لمواجهة صعوبات و أزمات هي من طبيعة الحياة بدلا من جلد الذات و لوم النفس على التفريط أو إلقاء التهم على الآخرين جزافا و الانغماس في ما يسمى بنظرية المؤامرة.

تعد هذه الرواية الإسهام الأول في الأدب لكاتب خاض تجربة التأليف لأول مرّجع عربي في الانترنت و تأليف كتاب يختص بالإعلام القديم و الحديث و الصحافة المقروءة و آخر في مجال الكتاب الكتروني و الإعلام العربي. بالرغم من تنقله في أنحاء العلم و خبرته في عالم الصحافة و تخصصه الأكاديمي في الإعلام و الإنترنت ، الا أنه أختار فن السرد ليصيغ رؤية معاصرة لحال شباب اليوم في مجتمع جده فنسمع أحاديثهم، هواجسهم، اهتماماتهم وعلاقاتهم بالجنس الآخر.

تعرض الرواية في صورة واقعية و بأسلوب وصفي مباشر حياة جيلين و ما اكتنفته من كفاح و طموح وشواغل. تقدم (التقدم إلى الخلف) شهادة على تغييرات طرأت على حياة مواطنين سكنوا الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية، تشققوا هواء البحر ولم يمارسوا أيا من رياضاته. بوسع القارئ أن يلم مع طيات الكتاب بتلك التغييرات الحضارية و الثقافية و الاجتماعية التي توالى في العقد الأخير من القرن العشرين. و إن كانت الرواية تبدأ في السنوات الأولى من الألفية الثالثة الا أنها تسترجع سنوات مضت و ترصد سجلا للخاص و العام في حياة عصام أحد أبناء المملكة العربية السعودية داخل البلاد و خارجها.

تنطلق الرواية من جدة، و من ساحل البحر الأحمر لتصور ما يعترى الشباب من حالة يختلط فيها الحزن و الحيرة و الألم. تتكشف أسباب تلك المعاناة بشكل متتابع و سريع ابتداء بحاضر و ترجيعا لماض ثم عودة لواقع معاش يصور حياة أنماط أخرى لشباب يمثلون أطيافا مختلفة تعيش في مجتمع واحد و تجمع بينهم صداقات عميقة امتدت جذورها لسنوات طويلة اعترها التوتر و التصدع بسبب التطرف بأنواعه المختلفة.

تتطرق (التقدم إلى الخلف) لمجموعة التحولات الاجتماعية التي أعقبت أحداثا سياسية كحرب الخليج و أحداث الحادي عشر من سبتمبر و تغييرات تقنية و معلوماتية كعلة العام ٢٠٠٠ وازدياد

القنوات الفضائية و انتشار الفضاءات الالكترونية وتحولات أخرى مالية كسوق المال والمتاجرة بالأسهم. و يتناول د. كاتب كما يقول "تغييرات مرئية و أخرى مخفية أو مخفاة" أنتجت تبدلات مادية و معنوية في أحوال البشر تحتم معها تغيير المسارات واتخاذ نقاط بدء جديدة للتمتع بالحياة . . . أبهى نعم الإله.

يتراوح دور المرأة بين ما هو ثانوي و رئيسي في (التقدم إلى الخلف). أن ما يحدد أهمية ذلك الدور من عداه لا يرتبط أساسا بالزمان أو المكان بل بالأثر الذي تتركه تلك الأنثى كما فعلت "حورية البحر" عندما خطت بداية و نهاية مرحلة هامة في حياة عصام. لا يمكن لغير تلك الحورية أن يملأ ذلك الخواء في نفس عصام بعد أن غالبه اليأس في مواجهة طغيان الماديات على أقدس العلاقات الإنسانية. لا يقتصر دور المرأة عند د. كاتب على تجسيد الجانب العاطفي فقط بل هي تمثل صوت العقل و المعرفة مهما اختلفت البلاد و الثقافات.

د. إيمان محمد سعيد تونسي

1

كثيرة هي تلك اللحظات التي يشعر فيها أي إنسان بالحزن .. أو الوحدة .. أو الخوف .. أو الحيرة .. أو الألم لفراق عزيز أو من غدر صديق أو حبيب ...

كل هذه الأحاسيس من المعتاد أن يصادف الإنسان أياً منها في رحلته مع الحياة في أوقات متفاوتة وبدرجات مختلفة من الشدة .. لكن أن تجتمع كل هذه المشاعر وتختلط كالبركان الثائر في صدر إنسان واحد في وقت واحد فهو أمر تعجز كل الكلمات والمعاني عن تصويره .. إنه فعلاً بركان ملتهب لا تمثل حممه المتطايرة سوى جزء يسير من الجحيم الحارق الكامن في باطنه ...

بكل هذه الأحاسيس جلس عصام على مقعد خشبي على شاطئ البحر وقد تسمّرت عيناه نحو الأفق البعيد وثبت جسده إلا من حركات خفيفة لا إرادية وكأنني به يتوسل لهذا العالم أن يجمد من

حواله وأن يتوقف عن كل شيء، فكل شيء في عالمه وكل حركة فيه أصبحت كالسياط المتجهة إليه من كل صوب ...

الزمن هو ديسمبر من عام ٢٠٠٢، وكان عصام قد عاد منذ عام واحد تقريباً من الولايات المتحدة الأمريكية التي قضى بها سنوات عديدة وأصبح منذ عودته يقصد نفس المكان قبل الغروب ويبقى به حتى يستبد به التعب ليعود بعد ذلك إلى منزله ...

بجوار المقعد الذي كان يجلس عليه كانت هناك كومة من الأوراق والتي بدأ بعضها في التطاير بفعل الهواء .. كان عصام ينظر إلى إحدى تلك الأوراق باهتمام وكانت عبارة عن بقايا صفحة من إحدى المجلات، وقبل أن يتمكن الهواء من أخذها بعيداً مدّ عصام يده بسرعة والتقطها من على الأرض ...

كانت تلك الصفحة تحتوي على مقال قديم يتحدث عن ما عُرف بـ«علة العام ٢٠٠٠»، أو ما يرمز له إختصاراً بـ«Y2K»، والتي تسببت حينها في موجة زعر عالمية من حدوث إنهيارات في أنظمة الحاسب الآلي على نطاق واسع خلال الساعة الأولى من الألفية الثالثة يؤدي إلى العديد من الكوارث وإلى تعطل سير الحياة اليومية .. وقد مر يوم ٢٠٠٠/١/١ بسلام ولكن بعد أن صرفت الشركات مئات المليارات من الدولارات لتوفير الحماية لأنظمتها مما أدى بدوره إلى حدوث فورة غير مسبوقه في أرباح كثير من الأشخاص والشركات المتخصصة ...

قرأ عصام ما أمكن قراءته من المقال ثم شخص ببصره بعيداً نحو البحر في حين كانت أصابع يده تطبق شيئاً فشيئاً على قطعة الورق محيلة إياها إلى ما يشبه الكرة، وبدا أن ما احتوته تلك الصفحة أثار في داخله الكثير من الأفكار والأحاسيس رغم أنها لم تزد عن كونها مقالاً علمياً متخصصاً لا يتصور أي شخص أن أي كلمة فيه يمكنها إثارة أو حتى ملامسة المشاعر والعواطف عند أي إنسان ...

تُرى ما الذي كان سيحدث لو توقفت جميع أنظمة الكمبيوتر عن العمل .. هل حقاً كان العالم سيتعرض إلى كارثة لا يعلم مداها إلا الله ..؟ هل حقاً تغلغت التكنولوجيا في كافة جوانب حياتنا بحيث أصبحت المعلومات كما يقول البعض هي التي تديرنا وليس العكس ..؟ لقد حولت ثورة المعلومات العالم إلى قرية صغيرة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى جالبة معها للبشر تغيرات سياسية وإجتماعية وإقتصادية لا يمكن للمرء تصورها .. ما الذي فعلته بنا هذه الثورة نحن كعرب أو أكثر تحديداً كسعوديين .. هل أخذت منا أكثر مما أعطتنا .. هل الأمر بيدنا نأخذ منها ما نريد ونترك ما نريد أم أنه لا خيار أمامنا .. أم أن الأمر أكثر تعقيداً من كل هذا وذاك ..؟

تساؤلات تليها تساؤلات كانت تتحرك في فكر عصام في كافة الاتجاهات رغم أن جسده بقي دون حراك كأنما تم تحنيطه فوق ذلك المقعد ...

آآه .. لماذا وكيف تغير الناس هنا بهذا القدر وبهذه السرعة .. هل يُعقل أن تكون العولمة والتكنولوجيا والانفتاح المفاجيء هي السبب في تغير أخلاق الناس ومبادئهم في مجتمعاتنا وفي إنتشار الظلم والغش والخيانة والكذب وفي تحكّم الماديات في أدق تفاصيل حياتنا؟ إذا كان ذلك صحيحاً فليت لعنة العام ٢٠٠٠ تحققت وأعادتنا إلى الوراء عشرين عاماً على الأقل حيث لا عولمة ولا قنوات تليفزيونية فضائية ولا إنترنت ولا هواتف جواله ولا ...

فجأة توقف عصام عن ذلك التفكير وكأنه سمع صوتاً داخله يستوقفه معاتباً ومدافعاً عن نعمة الثورة المعلوماتية وما حققته من مزايا للبشرية بل وله شخصياً في وقت من الأوقات !..

شعر عصام بالأفكار تتضارب في رأسه بحثاً عن إجابة، لم يمهلها كثيراً .. بل إنتفض من مكانه قائماً بشكل إنفعالي وبدأ يسير ببطء على رمال البحر وكأنه أراد بذلك الهرب من تلك الأفكار والتساؤلات التي لا يملك الإجابة الشافية عليها.



كانت أمواج البحر تتلاطم بهدوء واحدة تلو الأخرى وكان صوتها كالموسيقى الحزينة التي تضي على هموم عصام مزيداً من الإحساس بالتعاسة ...

الجو في هذه الفترة من السنة في جدة في أفضل أحواله خلافاً
لما هو معروف عن هذه المدينة الساحلية ذات الجو الحار والرطوبة
العالية إلا خلال شهور قليلة منها هذه الشهور الحالية ...

لم يخلُ الشاطئ من أناس آخرين حضروا للإستمتاع باعتدال
الجو وروعة البحر .. فهناك وعلى مقربة من المكان الذي كان يجلس
فيه عصام وقفت فتاة لم تتمكن عباءتها السوداء الضيقة من إخفاء
قوامها المشوق بكل تفاصيله .. ولم يتمكن الغطاء الذي تضعه على
منتصف رأسها من منع خصلات شعرها الأسود من التطاير مع
كل نسمة هواء علية .. أو من حجب جمال وجهها ببشرتها البيضاء
النقية التي يخيّل للناظر إليها أنها بدر في ليلة حالكة الظلام ...

كانت تحمل في يدها هاتفاً جوالاً كثير الأنين .. إما بنغمة أغنية
مشهورة .. أو بصوت نغمة الرسائل النصية المعهودة ...

لم تقطع نظراتها المليئة بالفضول إلى عصام .. ولا محاولاتها
جذب إنتباهه من خلال الحديث بصوت مرتفع في هاتفها الجوال ..
أو بإطلاق نظرة لا تتجاوز الثانية الواحدة بشكل مباشر إلى عينيه
مصحوبة بحركة خفيفة من شفيتها لا يمكن الجزم أهي إبتسامة ..
أم أنها حركة غير مقصودة ..!

نظرات عصام الحائرة وعدم إكترائه الظاهري بها كان هو
مثار فضولها أو حتى إستفزازها .. خاصة أن هذه ليست المرة الأولى

التي تصادف وجودهما في ذات المكان دون أي محاولة منه للتحرش بها أو محاولة إيصال رقم هاتفه الجوال إليها كما هو معتاد حدوثه هنا بين الشباب والفتيات بشكل تدرج رؤيته في أي مكان آخر من العالم ...

تحرك عصام على مقعده بتناقل ثم وقف وبدأ ينظر حوله استعداداً للرحيل، عندما التقت عيناهما مجدداً وبكل عفوية إبتسم لها وهو في طريقه إلى سيارته ...

ردت عليه هذه المرة بابتسامة عريضة واضحة وبحركة حذرة من يدها التي تحمل هاتفها الجوال وكأنها تقول : أليس لديك جوال؟

أبطأ عصام من مشيته ثم استدار بتردد عائداً إلى المقعد الذي كان يجلس عليه وأدخل يده في جيبه وأخرج منه هاتفاً جوالاً لم يُسمع له أي صوت طوال فترة جلوسه ...

نظرت إليه الفتاة ثم استدارت بكبرياء مفاده .. تعرف ما عليك عمله !!

أخرج عصام من جيبه قلماً وورقة صغيرة كتب عليها رقم هاتفه .. وبكل قلق خشية أن يراه أحد مر من أمامها وأسقط الورقة بالقرب منها وهو مستمر في سيره تجاه سيارته ...

إلتقطت هي الورقة بكل هدوء ووضعتها في حقيبتها دون حتى

أن تنظر إليها. قاد عصام سيارته إلى منزله ممسكاً جواله بيده طوال الطريق وكأن قلبه قد تولّع به فجأة بعد أن كان قبل لحظات قليلة مجرد قطعة منسية في جيب ثوبه الجانبي لا يكثرث في كثير من الأحيان حتى عند سماع رنينه ...

كان عصام يقود سيارته ببطء يزداد بطأً كلما اقترب أكثر من منزله وكأنه بذلك سوف يتمكن من إبطاء عقارب الساعة في يده أو حتى إيقافها عن الحركة على أمل أن يرن جرس ذلك الشيء الذي يحمله في يده قبل وصوله إلى البيت ويخرج له منه صوت «حورية البحر» كما أسماها والتي إلتقاها للتو ...

كان يعلم في قرارة نفسه أن كل دقيقة تمر دون اتصالها به سوف تقربه أكثر من اليأس وفقدان الأمل في حدوث ذلك رغم أنه لم تمر سوى دقائق فقط على إعطائه إياها رقم هاتفه ورغم أنه لم يعرفها أي إنتباه قبل ذلك طوال المرات التي كان يراها قريبة منه على شاطئ البحر.

